الرَّحمٰن الرَّحِيم

البسملة:

وقفنا في الفصل السابق عند قول الله تبارك وتعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ وقلنا إن البسملة نوع من أنواع الاستعاذة بالله عزَّ وجلَّ؛ لكننا إذا تأملنا البسملة وجدنا فيها كلمتين متشابهتين إلى حد بعيد، وهما الرحمٰن الرحيم.

لو سألنا أي شخص عن معنى الرحمٰن، لقال: هو الذي يرحم الناس، ولو سألنا عن معنى الرحيم لحصلنا على الجواب نفسه.

لو صح ما قالوه لما وردت اللفظتان متتابعتان في عبارة واحدة، فواحدة منهما تكفي.

لنستعرض البسملة معاً مرة أخرى.

قلنا إن الباء حرف استعانة، فنحن نقول: أكلت بالملعقة، شربت بالكوب، لعبت بالكرة أي أكلت مستعيناً بالملعقة، وشربت مستعيناً بالكوب ولعبت مستعيناً بالكرة، فلو لم نقل بالملعقة وبالكوب وبالكرة لظلَّت الجملة ناقصة وطرحت أمامنا أسئلة كثيرة.

obeikandi.com

وعندما نقول بسم الله الرحمن الرحيم فإنها ترتبط بشيء عملناه قبل ذكرها، أو شيء سنفعله بعدها؛ أما عندما نقرأها في بداية قراءة القرآن فإننا نعني أننا نبدأ القراءة مستعينين بالله الرحمٰن الرحيم؛ وقد أمرنا الرسول ﷺ أن نبدأ بها كل عمل نريد أن نقوم به، وقال ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، وطلب العون من الله عبادة والدعاء عبادة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

إن الله سبحانه وتعالى الذي خلقنا للعبادة وأمرنا بالعبادة هو وحده القادر على إعانتنا على العبادة، وعلى التفرُّغ للعبادة وعلى إخلاص العبادة؛ والإقبال على العبادة.

هذا كله لا يتم إلا ببركة الله تعالى، وبإبعاد الشيطان ووسوسته عنَّا ولا يبتعد الشيطان عنا إلا بالتعوذ بالله والاستعانة به.

معنى الرحمن والرحيم

لقد بحث العلماء في آي القرآن الكريم فوجدوا أن الله عزَّ وجلَّ عندما يتكلم عن نفسه في القرآن الكريم فإنه يذكر كلمة الرحمٰن، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5]، ولم يقل الرحيم، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108]. ولم يقل: وخشعت الأصوات

للرحيم، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن: 1 – 4]؛ وقال في سورة الفرقان: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ٢٦﴾ [الفرقان: : 26].

ولو تتبعنا كل موضع ذكر فيه «الرحمٰن» في القرآن الكريم لوجدنا أنها صفة لله وحده لا يتصف بها غيره، أما الرحيم فإننا نجد أنه قد وصف النبي ﷺ بها، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: 128].

وإذا أردنا وصف أي شخص بالرَّحمة، قلنا: هو رحيم، ولا نقول أبداً رحمٰن إلا لله عزَّ وجلَّ؛ فالرحمٰن صفة من صفات الذات الإلٰهية، يتصف بها بذاته، أما الرَّحيم فمتعلقة بالناس، يرحم بها العباد في الدنيا ويصف بها الناس ويرحم بها الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

أجزاء الرحمة:

لقد جعل الله الرحمة مائة جزء، فأنزل إلى الأرض جزءاً واحداً يتراحم به الخلق فيما بينهم، وادَّخر عنده تسعة وتسعين جزءاً يرحمنا بها في الآخرة.

obeikandi.com

بهذا الجزء الواحد تعطف الوالدة على ولدها وترضعه وتقضي الليلة ساهرة قرب فراشه إن كان مريضاً.

بهذا الجزء يشعر الوالد أن ولده فلذة كبده فيسعى في مناكب الأرض طلباً للرزق لإعاشة عياله وتأمين مستقبلهم، ولو كان يسعى لنفسه فقط لما احتاج لكل هذا الجهد والتعب.

بهذا الجزء يحرم الوالدان نفسيهما من كثير مما يحتاجانه أو يرغبان فيه لتأمين حاجات الأولاد أولاً، بل إن الوالد ليحرم نفسه من العلاج ليأتي بشيء طلبه ولده؛ أو بلعبة أحبها، وقد يلهو بها ساعة ثم يرميها. بهذا الجزء تضع الدابة حافرها وترفعه مخافة أن تصيب ولدها بمكروه، وتحمل الهرة أو اللبوة أولادها بأسنانها، دون أن تؤذيهم، وتسعى بهم من مكان لآخر بحثاً عن مكان آمن لهم، بعيداً عن أخطار الوحوش الأخرى.

بهذا الجزء يحمل الطير الطعام في فمه ولا يبتلعه، ليطعم فراخه؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن» و«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

ترى لو أنزل الله سبحانه وتعالى إلى الأرض أكثر من جزء من رحمته فهل كنا نحتملها أو نقدر عليها؟

إن الواحد منا ليصيبه الهلع رحمة وخوفاً على ولده لو أصابه مكروه، بل إن البعض من الناس يضربه الفالج أو يموت فرحاً أو حزناً لما أصاب ولده، ولو أنزل الله إلينا أكثر من جزء من

الرحمة لما احتملت عقولنا ولا قلوبنا، ولكنه وهو العليم بخلقه أنزل جزءاً واحداً فقط رحمة بنا وهو الرحمن الرحيم.

رحمة الله عزَّ وجلَّ:

قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ فبرحمته سبحانه وتعالى لعباده، يرزقهم جميعاً، مؤمنهم وكافرهم؛ وبرحمته لعباده يشفيهم ويعافيهم، طائعهم وعاصيهم؛ وبرحمته تعالى يترك لنا باب التوبة مفتوحاً؛ ولولا هذه الرحمة لما سقى الكافر شربة ماء، ولولا هذه الرحمة لعاقب العاصي على عصيانه فور ارتكاب معصيته، ولعاقب المميء على إساءته ولم يبق على ظهر الأرض أحد، فكلنا خطاؤون؛ أما رحمته في الآخرة فقال تعالى: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: 156].

الحسنة والسيئة:

نحن عندما نعبد الله وندعوه، فإنما ندعوه ليغفر لنا ذنوبنا، ويتجاوز عن سيئاتنا ويتقبل أحسن أعمالنا.

ندعو الله ليرزقنا، ويشفينا، ويعافينا في الدنيا والآخرة.

ندعو الله رغبة في كل خير، ورهبة من كل شر، ولولا فضل الله علينا ورحمته لما تقبل منا حتى دعاءنا.

إن الله سبحانه وتعالى لا يتقبل برحمته دعاءنا واستغفارنا

وتوبتنا فقط، بل إنه يقول لملائكته في الحديث القدسي: «إذا هم عبدي بالحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة».

العبد لم يعمل الحسنة بعد، لقد همَّ بها فقط، نوى أن يفعلها، وأراد ذلك، لكنه تراجع في اللحظة الأخيرة لسبب ما، ومع ذلك فإن الله قد أمر ملائكته أن يكتبوها له حسنة.

ثواب الحسنة:

يضع الإنسان يده في جيبه ليتصدق بصدقة على فقير رآه، فيجد أن ما معه لن يكفيه لحاجات يومه إن نقص منه شيء، فيتراجع في اللحظة الأخيرة، وينوي أن يتصدق في يوم آخر.

لكن الملائكة يكتبونها له حسنة كاملة، فكيف لو أدَّاها؛ لقد أمر الله ملائكته أن يكتبوها له حسنة مضاعفة.

قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: 276] فالربا مال حرام، ومآله المحق والزوال، أما الصدقات فتنمو وتربو كما يربي أحدنا فلوه فيصير فرساً كبيراً؛ وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: 261].

الحبة بسبعمائة حبة مع إمكان المضاعفة أكثر، فهل في الدنيا عمل يعطي من الربح سبعمائة ضعف؛ فكيف مع إمكانية

obeikandl.com

المضاعفة أيضاً؛ إنها تجارة لا تبور، هذه هي أرباح من يتاجر مع الله بالحسنات.

أما التجارة مع البشر، فقد تربح وقد تخسر، وحتى لو ربحت، فأصل المال وربحه باقيان في هذه الأرض، وأنت ماضٍ إلى حسابك وحدك، أما الحسنات فترافق صاحبها ليوم الحساب؛ والمحروم الحقيقي هو من حُرِم من الحسنات، فقد كان عاجزاً حتى على أن ينوي الخير وأن يهم به؛ والرسول ﷺ أعلمنا أن الله عزَّ وجلَّ لينمي لأحدنا صدقته حتى تكون كالجبل، فارحم من حولك لتستحق الرحمة يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم تتحيل درجات القصور إلى دركات في جهنم، وتتحول الصدقات والحسنات إلى سدود تمنع عنك نار جهنم.

إلـهي لا تـعـذبـنـي فـإنـي
مُـقِـرٌّ بـالَّذي قـد كـان مـنِّـي
فـمـا لـي حـيـلة إلا رجـائـي
لعفوك إن عفوتَ بحسن ظنِّي
فـكـم مـن زلـة لـي في الـخـطـايـا
وأنـت عـليَّ ذو فـضـلٍ وَمَـنِّ
إذا فـكـرت فـي نـدمـي عـلـيـهـا
عـضـضـت أناملي وقـرعـتُ سِـنِّي

لو تفكَّر كل واحد مِنَّا في حاله وأوضاعه وعمله لوجد أنه

هالك لا محالة لأن ذنوبه كثيرة، لكنه عندما يتذكر رحمة الله التي وسعت كل شيء، يعود إليه الأمل فيستغفر ربه ويتوب من ذنبه ويصلي على رسول الهدى ﷺ الذي قال: «بشِّروا ولا تنفِّروا، يسِّروا ولا تعسِّروا ولا تكونوا فتَّانين» ومن كان يطمع في رحمة الله عليه أن يكون رحيماً مع غيره من البشر، سهلاً يَسِراً كريماً، عطوفاً ليستحق الرحمة والعطف والتيسير من الله.

الشفاعة:

جاء في الحديث الشريف، أنه بعد أن ينتهي حساب الخلق، ويصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، يقف بين يدي الله من تُقْبَلُ شفاعتهم عنده، فيشفع النبيُّون، ويشفع الصِّدِّيقون ويشفع الصالحون ويشفع الشهداء وتشفع الملائكة ولا تبقى إلا شفاعة الرحمٰن.

النبيُّون يشفعون لأممهم عند الله،

والصِّدِّيقون يشفعون لأشياعهم عند الله،

والصالحون يشفعون لأتباعهم عند الله،

والشهداء يشفعون لأهليهم عند الله،

وتبقى شفاعة الرحمٰن، فعند من يشفع الرحمن عز وعلا؟ هذا هو السؤال.

الكل يشفع عند الله، فعند من يشفع الله وهو الشَّافع المشفِّع؟

obeikandl.com

قال العلماء: لنرجع للأمور الخمسة التي ذكرها الله عز وجل لملائكته في الحديث القدسي.

1 - إذا هم عبدي بالحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة.

2 - إذا هم عبدي بالحسنة فعملها فاكتبوها له مضاعفة.

3 - إذا هم عبدي بالسيئة فلم يعملها فلا تكتبوها عليه شيئاً.

4 - إذا هم عبدي بالسيئة فعملها فاكتبوها له سيئة واحدة.

5 - إذا هم عبدي بالسيئة فتركها لأجلي فاكتبوها له حسنة.

فهذا الأخير نوى المعصية والسيئة وأراد أن يرتكبها ثم تذكر غضب الله على من يرتكب السيئات فتركها حبًّا بالله ورجاء عفوه وغفرانه. خرج ناوياً ارتكاب المعصية ورجع وقد غفر الله له وكتبت له حسنة، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: 70]، وكيف لا يبدل سيئاتهم حسنات، وقد قال عزَّ من قائل: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد: 39].

القوة والرحمة:

متابعة للإجابة عن السؤال الذي طُرِحَ في الفقرة السابقة وضع العلماء جدولاً قسموه إلى عمودين، وجعلوا على رأس العمود الأول اسم الجلالة «الله» لأنه يحمل معنى الألوهية

والرحمة، وعلى رأس العمود الثاني اسم «الربّ» لأنه يحمل معنى الربوبية والقوة والسيادة.

في العمود الأول وضعوا أسماء الله الحسنى والصفات التي تحمل معنى الرحمة مثل: الرحمٰن، الرحيم، الودود، السلام، الغفور، الرؤوف، الكريم، الحليم، المؤمن، العفوُّ إلخ...

وفي العمود الثاني وضعوا أسماء الله الحسنى والصفات التي تحمل معنى القوة والسيادة، مثل: الملك، القوي، الشديد، العزيز، المهيمن، المنتقم، المحصي، المبدىء، المعيد، العظيم، المتكبر، القابض، إلخ...

الصفة والموصوف:

الصفة، بحدّ ذاتها لفظ مجرَّد.

بعض الصفات مادي بحت، ووجودها محدود بوجود الموصوف ويتضح معناها بمجرد وجوده، فنحن ندرك معنى النحافة عندما نرى شخصاً نحيفاً، والسُّمْنَة تُدرك بمجرد رؤية السمين إلخ...

لكن لبعض الصفات معانٍ مجرَّدة، لا يكفي وجود الموصوف لظهور معناها؛ بل لا بد من وجود معمول لهذه الصفة، فلا يكفي أن نقول عن فلان قاتلاً بل لا بد من وجود قتيل ليكتمل المعنى؛ وفي صفات أخرى لا بد من وجود سبب لظهور

الصفة وتجلِّيها واكتمال معناها فالرحمة لا تتجلى إلا بوجود رحيم قد رحم شخصاً ارتكب ذنباً فغفره له ولم يعاقبه، فصار المذنب مرحوماً.

ولإثبات الصفات والأسماء الحسنى لله يجب أن نرى من وقع فعل هذه الصفات والأسماء عليهم.

إذا نظرنا إلى المخلوقات، نرى أن الجمادات غير عاقلة ولا حيَّة لنرى الفعل بوضوح عليها.

والملائكة خلقها الله لعبادته وطاعته، فيبقى الإنسان وحده؛ فهو الذي يحتاج لكرم الكريم، ورحمة الرحيم وغفران الغفور، لأنه يحتاج ويذنب ويظلم ويعصي ويتوب.

العبادة:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56] فالطاعة عبادة، والصلاة عبادة والدعاء عبادة والاستغفار عبادة.

جاء في الحديث القدسي: «إن عبداً أذنب ذنباً، فقال: أي ربّ، أصبت ذنباً فاغفره لي فقال سبحانه وتعالى للملائكة: «أذنب عبدي ذنباً فَعَلِمَ أن له ربًا يأخذ بالذنب ويحاسب عليه، يا ملائكتي إني أشهدكم أني قد غفرت له». ثم أذنب العبد ذنباً ثانياً، فقال: أي ربِّ، أصبت ذنباً ثانياً فاغفره لي، فقال الله لملائكته: «أذنب عبدي ذنباً ثانياً فعلم أن له ربًا يأخذ بالذَّنْبِ

ويحاسب عليه، يا ملائكتي إني أشهدكم أني قد غفرت له». ثم عاد العبد وأذنب ذنباً ثالثاً، فقال: أي ربِّ، أصبت ذنباً ثالثاً فاغفره لي، فقال الله لملائكته: «أذنب عبدي ذنباً ثالثاً فعلم أن له ربًّا يأخذ بالذَّنبِ ويحاسب عليه، يا عبدي اعملْ ما شئت فإني قد غفرت لك، قد غفرت لك، قد غفرت لك» وجاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «لو لم تكونوا تذنبون لذهب الله بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون، فيستغفرون، فيغفر الله لهم» «والله سبحانه وتعالى ليفرح بالعبد التائب أكثر من أحدكم أضاع ناقته وما عليها في أرض فلاة».

خطاب الله للخطاة:

عندما يخاطب الله عزَّ وجلَّ قوماً بأمر أو نهي أو تعليم أو تشريع أو إخبار بقصص من سبقهم نرى الآية تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: 21]، أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: 153] أو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: 51]، و﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: 40] إلخ... أما عندما كلَّم العصاة من خلقه جميعاً، فقد قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾، انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: 53]؛ فيفتح بذلك باب التوبة لهم جميعاً؛ وقد أعلمنا الرسول ﷺ أن باب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها.

أعظم الذنوب:

قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليَّ ذنوب أمتي فما وجدت ذنباً أعظم من ذنب رجلٍ أذنب ذنباً وَحَسِبَ أن الله لن يغفره له»، إذن فأعظم ذنب يمكن أن يرتكبه إنسان هو أن ييأس من روح الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

رحلة توبة:

كان في أحد البلاد رجل قتل تسعاً وتسعين نفساً، ثم أراد التوبة، فسأل الناس ليرشدوه إلى شخص يتوب على يديه فأرسلوه إلى رجل يسأله، فذهب إليه.

عندما وصل إليه، قصَّ عليه خبره وسأله: هل لي من توبة؟ فقال له العابد: أنت في النار.

قال الرجل: ما دمت في النار فسأقتلك فإن قتلك لن يغير من حالي شيئاً، فاستلَّ خنجره وطعنه.

خرج بعدها يسأل عن رجل صالح يسأله، فقالوا له: اِذهب إلى فلان، فليس في الأرض رجل صالح أعلم منه، اِذهب إليه واسأله.

سار الرجل يبحث عن مكانه حتى وجده، فدخل إليه وسلَّم عليه ثم قص عليه خبره، وسأله: هل لي من توبة؟

قال الرجل الصالح: نعم، لك توبة، إن الله يغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحاً. لتكن توبتك صادقة والله يغفر لك ويقبل توبتك.

تعلق العاصي بأذياله، وقال: فماذا أفعل، أرشدني بالله عليك.

قال الرجل الصالح: إنك بين قوم عصاة يشجعونك على ما تفعل، فاتركهم واذهب إلى الأرض الفلانية فإن فيها قوماً صالحين يساعدونك على توبتك؛ فالمرء على دين خليله.

خرج الرجل متعجلاً يريد أن يصل إلى أرض التوبة، لكن قضاء الله عزَّ وجلَّ سبق، وانقضى أجل الرجل فمات قبل أن يصل؛ فتنازعته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

ملائكة الرحمة تقول: لقد كان قاصداً لأرض الرحمة والتوبة.

أَمَّا ملائكة العذاب فتقول: لقد كان مستحقاً للعذاب، ولم يصل إلى أرض الرحمة؛ لكنهم بعد طول الحوار، قرروا أن يحتكموا لأول رجل يمر بهم، فأرسل الله عزَّ وجلَّ جبريل عليه السلام في صورة رجل، فاحتكموا إليه وحكوا له القصة، فقال: قيسوا المسافة بين مكانه وأرض الرحمة وأرض العذاب، فإن كان أقرب إلى أرض الرحمة فهو في الجنة وإن كان أقرب إلى أرض العذاب فهو في النار.

obeikandl.com

انطلقوا ليقيسوا المسافة فرفع الله عزَّ وجلَّ أرض الرحمة وقربها، وقال عزَّ وجلَّ لملائكته: أدخلوا عبدي الجنة برحمتي.

لقد نال الرجل رحمة الله وأدخله الجنة لأنه نوى التوبة وسعى إليها وإن لم يسعفه العمر.

حديث الرحمة:

قال تعالى في الحديث القدسي: «إن رحمتي سبقت غضبي، يا ابن آدم خلقتك بيدي وربيتك بنعمتي وأنت تهجرني وتعصيني، فإن هجرتني وعصيتني حملت عليك حتى تتوب، فإن تبت إلي قَبِلْتُكَ، فإن قَبِلْتُكَ غفرت لك، فإن غفرت لك أدخلتك الجنة وأنجيتك من النار، فمن أين تجد لك ربًّا مثلي وأنا الغفورالرحيم».

مرَّ رسول الله ﷺ ذات يوم بأبي ذر رضي الله عنه فوجده يبكي؛ فقال له: «ما يبكيك يا أبا ذر؟

قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله إني أمرؤ خطَّاء، (أي كثير الذنوب).

قال رسول الله ﷺ: اِذهب واستغفر.

قال أبو ذر: أعود وأُذْنِبُ.

قال الرسول ﷺ: عُدْ واستغفر.

قال أبو ذر: أعود وأذنب.

obeikandi.com

قال الرسول ﷺ: عد واستغفر.

قال أبو ذر: إذاً يكثر خطئي.

فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، اِعلم أن رحمة الله عليك أعظم من إكثارك على نفسك بالذنب».

وجاء في الحديث القدسي قوله تعالى: «يا ابن آدم، لو جئتني بقراب الأرض خطايا لا تشرك بي شيئاً لجئتك بقرابها مغفرة، يا ابن آدم، إنك إن استغفرتني لوجدتني قد غفرت لك ما كان منك ولا أبالي» وجاء في حديث قدسي آخر: «يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم، إنسكم وجنّكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منكم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، إنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فعبدوني على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، إنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فاستغفروني لغفرت لهم».

وجاء في الحديث أن إبليس يقول: «أهلكتهم بالذنوب فأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء»، وذلك أن صاحب الهوى يحسب أنه على الحق والصواب فلا يستغفر فيهلك.

obeikandl.com

يوم الحساب:

لقد وصف سبحانه وتعالى يوم الحساب في آي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: 34 – 37]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: 27 – 29].

وفيه يشفع الأنبياء لأممهم، والصالحون لأتباعهم، والأولياء والشهداء لأحبائهم، وتشفع الملائكة، ثم يشفع الرحمن عزَّ وجلَّ، فتشفع صفات الرحمة عند صفات القوة والنقمة، لأن لكل صفة موصوفاً يوم القيامة، فتخرج صفات الرحمة من شاء الله له الخروج من النار فلا يبقى في النار من كان في قلبه ذرة من إيمان؛ ولا يبقى في النار أحد ممن شهد أنه لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48، والآية: 116]، وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بأنه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ

ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ [غافر: 3] وهكذا نرى في الآية أيضاً أن الغفران والتوبة تسبق العقاب والسلطان.

العفو والمغفرة:

يطوف الإنسان يوم القيامة يبحث عمن كانوا إخوانه وأهله وأحباءه في الدنيا ليسألهم حسنة واحدة علّه يدخل بها الجنة وقد أخبرنا الرسول ﷺ خبر رجل من هؤلاء أخذ يطوف سائلاً عسى أن يهبه أحد حسنة واحدة من حسناته.

بعد أن طال طوافه عبثاً ودون طائل، رأى رجلاً قاعداً قد أسند رأسه إلى كفه، فسأله كما سأل غيره.

نظر إليه القاعد وقال: لقد بحثت الملائكة فلم تجد لدي إلا حسنة واحدة، فخذها وادخل الجنة.

أخذ الرجل الحسنة منه وأسرع إلى ملائكة الحساب قائلاً: هذه هي الحسنة التي طلبتموها مني.

فيقول الله عزَّ وجلَّ، وهو الأعلم بحاله: من جاد بها عليك؟

يقول: فلان، وهو لا يملك غيرها.

فيقول تعالى: اليوم يوم جودي لا يوجد من هو أجود مني، ارجع فأت بأخيك هذا الذي جاد عليك بحسنته وادخل وإياه الجنة.

كما أخبرنا الرسول ﷺ خبر الرجل العاصي الذي نزل إلى البئر ليشرب، ثم صعد فوجد كلباً يلهث من العطش، كما كانت حاله قبل أن ينزل إلى البئر، فقال لنفسه: إن بهذا الكلب من العطش مثل الذي كان بي قبل أن أنزل وأشرب.

بحث عن شيء يملأه بالماء فلم يجد إلا حذاءه.

حمل الحذاء ونزل إلى البئر من جديد ثم ملأه وصعد به وأعطاه للكلب ليشرب فغفر الله له بعمله هذا.

سورة براءة:

إن لسورة التوبة اسماً آخر تعرف به هو «سورة براءة» لأنها تبدأ بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: 1]، وهي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي لا بسملة في أولها، فالبسملة الابتداء باسم الله الرحمن الرحيم، ولا رحمة لمشرك أو كافر.

اللهم اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين، واغفر لنا مغفرة شاملة عامة لا تترك مؤمناً ولا مسلماً إلا أرجعته كيوم ولدته أمه. اللهم لا تدع فينا شقياً ولا محروماً إلا رحمته وغفرت له ويسرت له طريق التوبة والهدى، إنك نعم المولى ونعم النصير.

obeikandl.com